

المحاضرة 02: المحددات النفسية وعلاقتها بالنجاح والرسوب

ويتزعم هذا الاتجاه علماء النفس ويركز أصحاب هذا الاتجاه على أهمية دراسة الفروق الفردية بين التلاميذ ، ودورها في النجاح أو الفشل وهذه الفروقات بين الأفراد قد تكون نفسية أو عقلية أو جسمية ، ويمكن قياس هذه القدرات باستعمال أدوات ووسائل مباشرة خاصة عند قياس الطول أو الوزن أو باستعمال وسائل وطرق غير مباشرة خاصة فيما يتعلق بقياس القدرات العقلية كالذكاء مثلا. خاصة مع تطور مقاييس الذكاء ويمكن اعتبار مقياس ستانفورد بينيه ((binet–Stanford)) سنة 1960 من أكثر اختبارات الذكاء شيوعا واستخداما وانتشارا فهو يقيس الذكاء عند الأفراد من سنتين حتى سن الرشد وهناك أيضا اختبار ((وكسلر Wechsler)) للأطفال والراشدين ويستخدم هذا الاختبار لقياس القدرات العقلية عند المتعلم والتنبؤ بقدرته في النجاح أو الرسوب في الدراسة، (نشواتي، 1985، 116-117) ويصنف التلاميذ إلى متفوقين ومتوسطين ومتأخرين طبقا للدرجات المعيارية التي يتحصلون عليها في اختبارات الذكاء، واعتبر العديد من العلماء أن مستوى ذكاء الفرد يتحدد وفقا لعامل الوراثة بالدرجة الأولى وتأثير العوامل البيئية بالدرجة الثانية وعلى هذا الأساس فإن النجاح المدرسي أو الإخفاق يتوقف على مستوى ذكاء الفرد وفطرته الطبيعية وبرز هنا مصطلح اللاعدالة الطبيعية ليشير إلى أن الأطفال غير متساوون في القدرات الطبيعية والوراثية، وعموما فاختبارات الذكاء صممت أساسا لقياس القدرات العقلية اللازمة للتحصيل المدرسي والأكاديمي (نشواتي، 1985، 120) فهي صالحة في مجال التنبؤ بالتحصيل المدرسي، حسب النظم القائمة لهذا التحصيل. وتعتبر مسألة الوراثة والبيئة ودورهما في تحديد درجة الذكاء عند المتعلم من المسائل العلمية التي أثارت جدلا كبيرا ، خاصة مع نشر جنسن لمقالته عن دور البرامج التربوية التعويضية لمساعدة الأطفال المتأخرين دراسيا، حيث بين عدم جدواها مشيرا إلى أن الفروق الفردية بين التلاميذ في الذكاء والتحصيل تعود بالدرجة الأولى إلى العوامل الوراثية بنسبة 80 % بينما العوامل البيئية لا تساهم إلا بنسبة 20 % (نشواتي، 1985، 123).

إن البحوث العلمية التي حاولت تفسير أثر الوراثة في الذكاء تعود إلى سنة 1869 عند صدور كتاب ((العبقريّة الوراثية)) للباحث ((جولتون GOLTON)) حيث توصل إلى وجود ارتباط إيجابي بين ذكاء الأطفال وذكاء آبائهم، وقد أيده الكثير من الباحثين منهم ((Eyzenck

(Jensen 1969، 1971)) وعلى الرغم من أهمية هذه الحقائق إلا أن الوراثة الجيدة تترافق عادة بشروط بيئية جيدة (نشواتي، 1985، 126). وقد استغل علماء الاجتماع نتائج هذه البحوث ليركزوا على علاقة المستوى الثقافي والتعليمي للآباء بنجاح أبنائهم أو رسوبهم في الدراسة. وهناك تعريف يجمع بين دور البيئة والوراثة في الذكاء، حيث يعرفه وكسلر بأنه ((القدرة الكلية على التفكير العاقل والسلوك الهادف ذي التأثير الفعال في البيئة)). وقد ساهمت اختبارات الذكاء في مساعدة المعلم على التنبؤ ببعض الأنماط السلوكية لدى طلابه، كالنجاح أو الرسوب الأمر الذي يجعله أكثر فعالية معهم. ولكن ينبغي الإشارة إلى استحالة الاعتماد كلياً على درجات الطلاب في اختبارات الذكاء للتنبؤ بنجاحهم المدرسي أو إخفاقهم ولكن ينبغي كذلك الاهتمام بمسألة تحسين الشروط التعليمية بالاعتماد على العوامل البيئية المؤثرة (نشواتي، 1985، 132).

إن مسألة التكيف المدرسي من القضايا التي تناولها علماء النفس بالدراسة لكونها ترتبط بالتحصيل الدراسي، وعلى هذا الأساس لا يمكننا الاعتماد على نتائج روائز الذكاء لوحدها للحكم على التلاميذ بالفشل أو النجاح، وهناك دراسات تفيد أن تلاميذ ذوي معادلة ذكائية تفوق بكثير (110) ولكنهم يعانون من صعوبات مدرسية جمة في التكيف بينما نرى تلاميذ ذوي نسبة ذكائية منخفضة لا يجدون أي صعوبة في التكيف (أندريه لوغال، 1982، 11). وهناك فئة من التلاميذ الأسوياء الذين يعانون من مشكلات صعوبات التعلم كعسر القراءة وضعف في التعبير اللغوي وصعوبة في تعلم الكتابة أو الإملاء أو الحساب وهذه الفئة معدل ذكائهم قد يكون متوسط أو فوق المتوسط ومع ذلك يعانون من مشكلات تعليمية تعيق تحصيلهم الدراسي وتؤدي بهم إلى الرسوب والتسرب. ولقد أخذت الأبحاث النفسية في المجال المدرسي منحى آخر، خاصة مع ارتفاع نسبة الرسوب والتسرب عند فئة التلاميذ الذين لا يعانون من مشاكل ذهنية ومستوى ذكائهم عادي، لذلك اهتم علماء النفس بدراسة الدوافع والاهتمامات والميول والاتجاهات والقيم ومستوى الطموح عند الفرد وعلاقة هذه العوامل بنجاح الفرد في دراسته أو رسوبه.

حيث أن معرفة اهتمامات التلميذ وميوله الدراسية والمهنية يساعد المدرسين على توجيه أفضل للتلميذ نحو الدراسة والمهنة التي تتناسب واهتماماته وميوله حتى يتجنب الرسوب ويتمكن من النجاح، واهتم علم النفس الحديث بدراسة أسباب تدني الدافعية عند المتعلم نحو التعلم وكيفية إثارتها على نحو أفضل لمساعدته على التحصيل الجيد وبالتالي النجاح بدل

الرسوب والإخفاق. إن تدني الدافعية للتعلم من أسباب الرسوب والإخفاق عند الأغلبية العظمى من التلاميذ خاصة أولئك الذين لا يعانون من أي تأخر ذهني ، فكثيرا ما نجد تلاميذ متفوقين في درجة ذكائهم إلا أن نقص الدافعية عندهم نحو المدرسة يؤدي بهم في نهاية المطاف إلى الإخفاق والرسوب وفي كثير من الأحيان التخلي عن الدراسة، لهذا انصبت العديد من البحوث النفسية في البحث عن العوامل المثبطة لعزيمة المتعلمين، فالمقاربة السلوكية وعلى رأسها ((سكينر)) ترجع تدني الدافعية عند المتعلمين إلى نقص التشجيع من المدرس أو إلى العقوبات الجسدية أو السيكولوجية.

بينما يرى أصحاب المقاربة الإنسانية بان قيام المؤسسة التربوية على مبادئ إنسانية تمكن من تحسين الإحاطة بالمواد المدرسية والأداء الفكري بوجه عام وتشجع التلاميذ على التواصل فيما بينهم وتحفزهم على العمل الدراسي والمثابرة نحو النجاح (الكتاب السنوي ، وزارة التربية الوطنية ، 2001 ، 135-136).

ولقد اهتم علماء النفس بإجراء دراسات لمعرفة أثر التحفيز على التحصيل الدراسي للتلميذ ، فوجدوا بأن تحفيز التلاميذ وإثارة دافعتهم نحو التعلم المدرسي يؤدي إلى تحسين المردود الدراسي وتحقيق النجاح، وأن الرسوب في الدراسة كثيرا ما يرتبط بنقص الدافعية وعدم الاهتمام خاصة في ظل انعدام فرص العمل أمام الخريجين وتدني قيمة الشهادة العلمية في المجتمع وطغيان المادة على حساب العلم والتعلم. ويشغل دافع الإنجاز مكانة هامة في نموذج ((ماكلياند Mccleland 1953)) فقد حظي هذا الدافع منه بقدر كبير من الاهتمام فهو الذي استبدل مفهوم الحاجة للإنجاز إلى دافع الإنجاز ولقد طور هذا المفهوم من نظريته للاستثارة النشطة التي تتعلق بالسلوك أو التصرفات المرتبطة بالميل إلى المجاهدة من أجل النجاح ويعرف ((ماكلياند Mccleland)) دافعية الإنجاز بأنها الأداء في ضوء مستوى محدد للامتياز والتفوق (إبراهيم قشقوش وطلعت منصور، 37).

ويعد مستوى الطموح بعدا من أبعاد الشخصية الإنسانية بما له من تأثير على حياة الفرد والجماعة، وما يترتب عليه من نشاط وإنجاز لذلك فقد حظي هذا المفهوم بالكثير من الدراسات التي حاولت تحديد طبيعته، وعلاقته بالتحصيل الدراسي والدافعية للإنجاز، وقد ظهر مستوى الطموح كمصطلح في بداية العقد الرابع من القرن العشرين بظهور الدراسات التي قام بها ليفين وتلاميذه منذ عام 1929، ولكن كاميليا عبد الفتاح تشير أن ((هوب Hoppe)) 1930 يعد أول من تناول مستوى الطموح بالدراسة والتحديد على نحو مباشر، وكان ذلك

في البحث الذي قام به عن علاقة النجاح والفشل بمستوى الطموح حيث عرفه بأنه أهداف الشخص أو غاياته أو ما ينتظر منه القيام به في مهمة معينة (كاميليا عبد الفتاح ، 1975 .07).

(. لذلك فإن هناك من الطلاب من يفشلون في دراستهم ليس لنقص ذكائهم أو غبائهم وإنما لانخفاض مستوى طموحهم أو تدني دافعيتهم .

وتعتبر الصحة النفسية والجسدية من العوامل الهامة والتي تؤثر على التحصيل الدراسي للطلاب في مختلف المستويات ، فالطالب الذي يعاني من اضطرابات نفسية وجسدية يجد صعوبة كبيرة في تحصيله للدروس ومتابعته لما يقدم له داخل القسم ، إن التوتر الانفعالي والقلق والخجل الشديد بالإضافة إلى مختلف الأمراض الجسدية كالربو والقرحة وغيرها ، تشكل عائق كبير يؤثر سلبا على تـمدرس الطلاب ويؤدي بهم في كثير من الأحيان إلى التأخر الدراسي والفشل والرسوب وحتى التخلي عن الدراسة.

ويرى جورج ماكو(روجيه غال ، 1965 ، 385). بأن وراء الكسل والتأخر الدراسي أسبابا عاطفية وانفعالية، حيث أن الكسل يعني انعدام الاهتمام بالدراسة ، وهذا يؤدي إلى نفور وعدم تلاؤم دراسي وقلة انتباه، وسبب ذلك القلق العاطفي الذي يخلق معارضة وشعورا بالنقص وشكا بالذات وخوفا من ملامة وعقوبة، وعدم تلاؤم مع الواقع والهروب منه عن طريق أحلام اليقظة ، واستمرار عاطفة الأهل والمعلمين وضعف الثقة بالذات مما يؤدي إلى كسل ظاهري. أما عبده حنين فقد أبرز(رشدي عبده حنين ، 1983). أهم السمات المميزة لشخصية المراهق الذي يتميز بضعف تحصيله الدراسي وهي كما يلي :

1 – الميل العصبي حيث يظهر الاضطراب على شكل عدم اتزان انفعالي والتقلب في المزاج مع تأخر دراسي

2 – سمة الاكتفاء الذاتي ويظهر في حب المراهق للعزلة وعدم تقبل نصائح الكبار وفقدان الدوافع والخوافز التشجيعية.

3 – سمة الانطواء والانبساط حيث يعيش المنطوي داخل نفسه قليل الثقة لا يقدر مواهبه وقدراته، تحصيله الدراسي ضعيف.

4 - سمة السيطرة والخضوع حيث يميل المراهق إلى الخنوع والطاعة، يفتقد إلى الثقة بالنفس، يفضل المؤخرة في المواقف الاجتماعية، يعاني من مشاعر نقص وكل ذلك يؤخر في تحصيله الدراسي.

5 - سمة ضعف الثقة بالنفس ، حيث أن الأشخاص الذين يميلون للعزلة وعدم المشاركة في الحياة الاجتماعية، تكون لهم أدوار ضعيفة داخل وخارج المدرسة فيزيد ذلك في تعميق الثقة بالنفس مما يزيد في تأخره دراسيا ويؤدي به إلى الرسوب وعدم النجاح.

كما اهتم علماء النفس بدراسة أثر التعب المدرسي على نجاح الطالب في دراسته ، فالظرف الأسرية المتدنية وسوء التغذية وبعد المدرسة عن المنزل بالإضافة إلى طول اليوم الدراسي وكثافة البرامج والحجم الساعي كلها عوامل تؤدي إلى عياء التلميذ بحيث يبدي عدم الرغبة في الدراسة وعدم القدرة على التركيز والاستيعاب.